

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة العنكبوت ١٧-٩-١٤٠٣-٢٤

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

سورة العنكبوت

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)

سورة العنكبوت

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
أَنْ يَسْبِقُونَنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

سورة العنكبوت

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ
اللَّهِ لَأْتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)

سورة العنكبوت

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ
إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)

وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا
يَعْمَلُونَ (٧)

سورة العنكبوت

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَ
 إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
 بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي
الصَّالِحِينَ (٩)

سورة العنكبوت

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي
اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَ لئن جَاءَ
نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ
الْمُنَافِقِينَ (١١)

سورة العنكبوت

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَنَحْمِلْ خَطِيَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢)

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ أَثْقَالًا مَعَهُمْ وَ لَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

سورة العنكبوت

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ
أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ
وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
لِّلْعَالَمِينَ (١٥)

سورة العنكبوت

وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ انْتَهُوْهُ
ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ أَفْكَارًا
إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ
رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ
اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)

سورة العنكبوت

وَ إِنْ تُكذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَ
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)

أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِيُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)

سورة العنكبوت

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ
 النَّسْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

سورة العنكبوت

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ
يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)

سورة العنكبوت

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا تُلْمَعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّيَ وَلَا
 تَصِيرُ (٢٢)

سورة العنكبوت

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ
 أَفْئَاتِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَ
 أَفْئَاتِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

سورة العنكبوت

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
 اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَبَهُ اللَّهُ مِنْ
 النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ (٢٤)

سورة العنكبوت

وَ قَالَ اِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ اَوْثَانًا
مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَّ يَلْعَنُ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَّ مَا وُكِّلَ النَّارُ وَّ مَا
لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَ (٢٥)

سورة العنكبوت

فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي
ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي
الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

سورة العنكبوت

و لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا
سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)

أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

سورة العنكبوت

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنِ أَهْلُهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ (٣١)

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ (٣٢)

سورة العنكبوت

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا
تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنْ
الْغَابِرِينَ (٣٣)

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ (٣٤)

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

سورة العنكبوت

وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)

وَ عَادًا وَ ثَمُودًا وَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُم
 مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ
 الشَّيْطَانُ أَغْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)

و عَادَا وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ

• و قوله «و عادا و ثمود» أي و أهلكننا أيضاً عاداً و ثمود جزاءً على كفرهم «و قد تبين لكم» معاشر الناس كثير «من مساكنهم».

• ثم اخبر أنه «زين لهم الشيطان أعمالهم» التي كفروا بها و عصوا الله فيها، و ذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك الى الله.

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

• ثم اخبر أن الشيطان صدهم و منعهم عن طريق الحق «فهم لا يهتدون» اليه لاتباعهم دعاء الشيطان. و عدولهم عن الطريق الواضح «و كانوا مستبصرين» أى و كانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له و فكرهم فيه. و قال مجاهد و قتادة «و كانوا مستبصرين» فى ضلالتهم لعجبهم به، فتصوروه بخلاف صورته.

وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ

- قوله تعالى: «وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ» إلى آخر الآية غير السياق تفننا فبدأ بذكر عاد وَ ثَمُودَ وَ كذا في الآية التالية بدأ بذكر قارون وَ فرعون وَ هامان بخلاف قصص الأمم المذكورين سابقا حيث بدأ بذكر أنبيائهم كنوح وَ إبراهيم وَ لوط وَ شعيب.

وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ

- و قوله: «وَ عَاداً وَ ثَمُودَ» منصوبان بفعل مقدر تقديره و اذكر عادا و ثمود.

و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

• و قوله: «و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» تزيين الشيطان لهم أعمالهم
كناية أستعارية عن تحبيب أعمالهم السيئة إليهم و تأكيد
تعلقهم بها و صده إياهم عن السبيل صرفهم عن سبيل
الله التي هي سبيل الفطرة، و لذا قال بعضهم: إن المراد
بكونهم مستبصرين أنهم كانوا قبل ذلك على الفطرة
الساذجة.

و زين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل و كانوا مستبصرين

• لكن الظاهر كما تقدم في تفسير قوله: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين»: البقرة: ٢١٣ أن عهد الفطرة الساذجة كان قبل بعثه نوح ع و عاد و ثمود كانوا بعد نوح فكونهم مستبصرين قبل انصدادهم عن السبيل هو كونهم يعيشون على عبادة الله و دين التوحيد و هو دين الفطرة

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- البقرة : ٢١٣ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• المعنى:

- معنى قوله: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أهل ملة واحدة كما قال النابغة:
- حلفت فلم أترك لنفسك ريبه و هل يآتمن ذو أمة و هو طائع « ١ »
- أي ذو ملة و دين. و أصل الأمة الأم من قولك: أمّ يوم أمّا: إذا قصدته.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- وهى على أربعة أوجه:
- فالأمة: الملة، و الأمة: الجماعة، و الأمة: المنفرد بالمقابلة، و الأمة: القابلة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و اختلفوا في الدين الذي كانوا عليه،
- فقال ابن عباس، و الحسن، و اختاره الجبائي: إنهم كانوا على الكفر.
- و قال قتادة، و الضحاك: كانوا على الحق، فاختلفوا.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فان قيل: إذا كان الزمان لا يخلوا من حجة كيف يجوز أن يجتمعوا كلهم على الكفر، قلنا: يجوز أن يقال ذلك على التغليب لأن الحجة إذا كان واحداً أو جماعةً يسيرة، لا يظهرون خوفاً و تقيّة، فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر بالله، فلذلك جاز الاخبار به على الغالب من الحال، و لا يعتد بالعدة القليلة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (بيان) [فيما يفيد القرآن في حقيقة الإنسان و تاريخ نوعه].

• الآية تبين السبب في تشريع أصل الدين و تكليف النوع الإنساني به، و سبب وقوع الاختلاف فيه بيان: أن الإنسان - و هو نوع مفطور على الاجتماع و التعاون - كان في أول اجتماعه أمةً واحدةً،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة، و المشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعية لباس الدين، و شفعت بالتبشير و الإنذار: بالثواب و العقاب، و أصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين، و إرسال المرسلين،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ و المعاد، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، و ظهرت الشعوب و الأحزاب، و تبع ذلك الاختلاف في غيره، و لم يكن هذا الاختلاف الثانى إلا بغيا من الذين أوتوا الكتاب، و ظلما و عتوا منهم بعد ما تبين لهم أصوله و معارفه، و تمت عليهم الحجة،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فالاختلاف اختلافان: **اختلاف في أمر الدين** مستند إلى بغى الباغين دون فطرتهم و غريزتهم،
- و **اختلاف في أمر الدنيا** و هو فطرى و سبب لتشريع الدين،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه، و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.
- فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني، و المصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة و يعدل قواها المختلفة عند طغيانها، و ينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية و الآخروية، و المادية و المعنوية، فهذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعية و الدينية) على ما تعطيه هذه

٤٤ الآية الشريفة.

الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

- و محصل ما تبينه تلك الآيات على تفرقتها أن النوع الإنساني و لا كل نوع إنساني بل **هذا النسل الموجود من الإنسان ليس نوعا مشتقا من نوع آخر حيواني أو غيره: حولته إليه الطبيعة المتحولة المتكاملة، بل هو نوع أبدعه الله تعالى من الأرض، فقد كانت الأرض و ما عليها و السماء و لا إنسان ثم خلق زوجان اثنان من هذا النوع و إليهما ينتهي هذا النسل الموجود**

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ:» الحجرات - ١٣، وقال تعالى: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا:» الأعراف - ١٨٩، وقال تعالى: «كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ:» آل عمران - ٥٩،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و أما ما افترضه علماء الطبيعة من تحول الأنواع و أن الإنسان مشتق من القرد، و عليه مدار البحث الطبيعي اليوم أو متحول من السمك على ما احتمله بعض فإنما هي فرضية، و الفرضية غير مستند إلى العلم اليقيني و إنما توضع لتصحيح التعليلات و البيانات العلمية،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• ولا ينافي اعتبارها اعتبار الحقائق اليقينية، بل حتى
 الإمكانيات الذهنية، إذ لا اعتبار لها أزيد من تعليل الآثار و
 الأحكام المربوطة بموضوع البحث، و سنستوعب هذا البحث
 إن شاء الله في سورة آل عمران في قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ
 عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» آل عمران - ٥٩.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- (تركبه من روح و بدن)

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• وقد أنشأ الله سبحانه هذا النوع، حين ما أنشأ مركبا من
جزئين و مؤلفا من جوهرين، مادةً بدنيةً، و جوهر مجرد هي
النفس و الروح، و هما متلازمان و متصاحبان ما دامت الحياة
الدنيوية، ثم يموت البدن و يفارقه الروح الحية، ثم يرجع
الإنسان إلى الله سبحانه

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ:» المؤمنون - ١٦، (انظر إلى موضع) قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر، و في هذا المعنى قوله تعالى: «فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَ نَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ:» - ص - ٧٢،

الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و أوضح من الجميع قوله سبحانه «وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ:» السجدة- ١١، فإنه تعالى أجاب عن إشكالهم بتفرق الأعضاء و الأجزاء و استهلاكها في الأرض بعد الموت فلا تصلح للبعث بأن ملك الموت يتوفاهم و يضبطهم فلا يدعهم، فهم غير أبدانهم!

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فأبدانهم تضل في الأرض لكنهم أي نفوسهم غير ضالة و لا فائتة و لا مستهلكة، و سيجيء إن شاء الله استيفاء البحث عما يعطيه القرآن في حقيقة الروح الإنساني في المحل المناسب له.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (شعوره الحقيقى و ارتباطه بالأشياء)

• و قد خلق الله سبحانه هذا النوع، و أودع فيه الشعور، و ركب فيه السمع و البصر و الفؤاد ففيه قوة الإدراك و الفكر، بها يستحضر ما هو ظاهر عنده من الحوادث و ما هو موجود فى الحال و ما كان و ما سيكون و يؤول إليه أمر الحدوث و الوقوع، فله إحاطة ما بجميع الحوادث،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- قال تعالى: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمِ»: العلق - ٥، و قال تعالى: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ»: النحل - ٧٨، و قال تعالى «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»: البقرة - ٣١

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- وقد اختار تعالى لهذا النوع سنخ وجود يقبل الارتباط بكل شيء، و يستطيع الانتفاع من كل أمر، أعم من الاتصال أو التوسل به إلى غيره بجعله آله و أداة للاستفادة من غيره، كما نشاهده من عجب احتيالاته الصناعية، و سلوكه في مسالكه الفكرية، قال تعالى: «خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»: البقرة - ٢٩، و قال تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ»: الجاثية - ١٣، إلى غير ذلك من الآيات الناطقة بكون الأشياء مسخرة للإنسان.

الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٤-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (علومه العملية)

- و أنتجت هاتان العنايةتان: أعنى قوة الفكر و الإدراك و رابطة التسخير عنايةً ثالثةً عجيبةً و هى أن يهيئ لنفسه علوماً و إدراكات يعتبرها اعتباراً للورود فى مرحلة التصرف فى الأشياء و فعليه التأثير و الفعل فى الموجودات الخارجة عنه للانتفاع بذلك فى حفظ وجوده و بقاءه.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- توضيح ذلك: أنك إذا خلّيت ذهنك و أقبلت به على الإنسان، هذا الموجود الأرضي الفعال بالفكر و الإرادة، و اعتبرت نفسك كأنك أول ما تشاهده و تقبل عليه وجدت الفرد الواحد منه أنه في أفعاله الحيويةً يوسط إدراكات و أفكار جمّة غير محصورة يكاد يدهش من كثرتها و اتساع أطرافها و تشتت جهاتها العقل،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و هي علوم كانت العوامل في حصولها و اجتماعها و تجزيها و تركيبها الحواس الظاهرة و الباطنة من الإنسان، أو تصرف القوة الفكرية فيها تصرفا ابتدائيا أو تصرفا بعد تصرف، و هذا أمر واضح يجده كل إنسان من نفسه و من غيره لا يحتاج في ذلك إلى أزيد من تنبيه و إيقاظ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- ثم إذا كررت النظر في هذه العلوم و الإدراكات وجدت شطرا منها لا يصلح لأن يتوسط بين الإنسان و بين أفعاله الإرادية كمفاهيم الأرض و السماء و الماء و الهواء و الإنسان و الفرس و نحو ذلك من التصورات، و كمعاني قولنا: الأربعة زوج، و الماء جسم سيال و التفاح أحد الثمرات، و غير ذلك من التصديقات،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- وهى علوم و إدراكات تحققت عندنا من الفعل و الانفعال الحاصل بين المادة الخارجية و بين حواسنا و أدواتنا الإدراكية، و نظيرها علمنا الحاصل لنا من مشاهدة نفوسنا و حضورها لدينا (ما نحكى عنه بلفظ أنا)، و الكلليات الآخر المعقولة، فهذه العلوم و الإدراكات لا يوجب حصولها لنا تحقق إرادة و لا صدور فعل، بل إنما تحكى عن الخارج حكاية.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و هناك شطر آخر بالعكس من الشطر السابق كقولنا: إن هناك حسنا و قبحا و ما ينبغي أن يفعل و ما يجب أن يترك، و الخير يجب رعايته، و العدل حسن، و الظلم قبيح و مثل مفاهيم الرئاسة و المرءوسية، و العبدية و المولوية فهذه سلسلة من الأفكار و الإدراكات لا هم لنا إلا أن نشتغل بها و نستعملها و لا يتم فعل من الأفعال الإرادية إلا بتوسيطها و التوسل بها لاقتناء الكمال و حيازة مزايا الحياة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و هي مع ذلك لا تحكى عن أمور خارجية ثابتة في الخارج مستقلة عنا و عن أفهامنا كما كان الأمر كذلك في القسم الأول فهي علوم و إدراكات غير خارجة عن محوطة العمل و لا حاصلة فينا عن تأثير العوامل الخارجية، بل هي مما هيأناه نحن و ألهمناه من قبل إحساسات باطنية حصلت فينا من جهة اقتضاء قوانا الفعالة، و جهازاتنا العاملة للفعل و العمل،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فقوانا الغاذية أو المولدة للمثل بنزوعها نحو العمل، و نفورها عما لا يلائمها يوجب حدوث صور من الإحساسات: كالحب و البغض، و الشوق و الميل و الرغبة، ثم هذه الصور الإحساسية تبعثنا إلى اعتبار هذه العلوم و الإدراكات من معنى الحسن و القبح، و ينبغي و لا ينبغي، و يجب و يجوز، إلى غير ذلك،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- ثم بتوسطها بيننا و بين المادة الخارجية و فعلنا المتعلق بها يتم لنا الأمر، فقد تبين أن لنا علوما و إدراكات لا قيمة لها إلا العمل، (و هي المسماة بالعلوم العملية) و لاستيفاء البحث عنها محل آخر.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و الله سبحانه ألهمها الإنسان ليجهزه للورود في مرحلة العمل، و الأخذ بالتصرف في الكون، ليقضى الله أمرا كان مفعولا، قال تعالى: «الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى:» طه - ٥٠، و قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَنَهَى:» الأعلى - ٣، و هذه هداية عامة لكل موجود مخلوق إلى ما هو كمال وجوده، و سوق له إلى الفعل و العمل لحفظ وجوده و بقاءه، سواء كان ذا شعور أو فاقد للشعور.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و قَالَ تَعَالَى فِي الْإِنْسَانِ خَاصَّةً: «وَنَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَالْتَهُمَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا:» الشمس - ٨، فَأَفَادَ أَنَّ الْفُجُورَ وَ التَّقْوَى مَعْلُومَانِ لِلْإِنْسَانِ بِإِلْهَامِ فَطْرِي مِنْهُ تَعَالَى، وَ هُمَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ أَوْ يَرَاعِيهِ وَ مَا لَا يَنْبَغِي، وَ هِيَ الْعُلُومُ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي لَا اعْتِبَارَ لَهَا خَارِجَةٌ عَنِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَ لَعَلَّهُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِإِضَافَةِ الْفُجُورِ وَ التَّقْوَى إِلَى النَّفْسِ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و قال تعالى: «و ما هذه الحياء الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون:» العنكبوت - ٦٤، فإن اللعب لا حقيقة له إلا الخيال فقط، كذا الحياء الدنيا: من جاه و مال و تقدم و تأخر و رئاسة و مرءوسية و غير ذلك إنما هي أمور خيالية لا واقع لها في الخارج عن ذهن الذاهن، بمعنى أن الذي في الخارج إنما هو حركات طبيعية يتصرف بها الإنسان في المادة من غير فرق في ذلك بين أفراد الإنسان و أحواله.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فالموجود بحسب الواقع من «الإنسان الرئيس» إنسانيته، و أما رئاسته فإنما هي في الوهم، و من «الثوب المملوك» الثوب مثلاً، و أما إنه مملوك فأمر خيالي لا يتجاوز حد الذهن، و على هذا القياس.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (جريه على استخدام غيره انتفاعا)

• فهذه السلسلة من العلوم و الإدراكات هي التي تربط الإنسان بالعمل في المادة، و من جملة هذه الأفكار و التصديقات تصديق الإنسان بأنه يجب أن يستخدم كل ما يمكنه استخدامه في طريق كماله،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و بعبارة أخرى إذعانه بأنه ينبغي أن ينتفع لنفسه، و يستبقى حياته بأي سبب أمكن و بذلك يأخذ في التصرف في المادة، و يعمل آلات من المادة، يتصرف بها في المادة كاستخدام السكين للقطع، و استخدام الإبرة للخياطة، و استخدام الإناء لحبس المائعات، و استخدام السلم للصعود، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، و لا يحد من حيث التركيب و التفصيل، و أنواع الصناعات و الفنون المتخذة لبلوغ المقاصد و الأغراض المنظور فيها.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و بذلك يأخذ الإنسان أيضا في التصرف في النبات بأنواع التصرف، فيستخدم أنواع النبات بالتصرف فيها في طريق الغذاء و اللباس و السكنى و غير ذلك، و بذلك يستخدم أيضا أنواع الحيوان في سبيل منافع حياته، فينتفع من لحمها و دمها و جلدها و شعرها و وبرها و قرننها و روثها و لبنها و نتاجها و جميع أفعالها،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و لا يقتصر على سائر الحيوان دون أن يستخدم سائر أفراد نوعه من الآدميين، فيستخدمها كل استخدام ممكن، و يتصرف في وجودها و أفعالها بما يتيسر له من التصرف، كل ذلك مما لا ريب فيه.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (كونه مدنيا بالطبع)

• غير أن الإنسان لما وجد سائر الأفراد من نوعه، و هم أمثاله، يريدون منه ما يريدونه منهم، صالحهم و رضى منهم أن ينتفعوا منه و زان ما ينتفع منهم، و هذا حكمه بوجوب اتخاذ المدنية، و الاجتماع التعاونى، و يلزمه الحكم بلزوم استقرار الاجتماع بنحو ينال كل ذى حق حقه، و يتعادل النسب و الروابط، و هو العدل الاجتماعى.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فهذا الحكم أعني حكمه بالاجتماع المدني، و العدل الاجتماعي إنما هو حكم دعا إليه الاضطرار، و لو لا الاضطرار المذكور لم يقض به الإنسان أبدا، و هذا معنى ما يقال: إن الإنسان مدني بالطبع، و إنه يحكم بالعدل الاجتماعي، فإن ذلك أمر ولده حكم الاستخدام المذكور اضطرارا على ما مر بيانه،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و لذلك كلما قوى إنسان على آخر ضعف حكم الاجتماع التعاونى و حكم العدل الاجتماعى أثرا فلا يراعيه القوى فى حق الضعيف و نحن نشاهد ما يقاسيه ضعفاء الملل من الأمم القوية، و على ذلك جرى التاريخ أيضا إلى هذا اليوم الذى يدعى أنه عصر الحضارة و الحرية.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- وهو الذي يستفاد من كلامه تعالى كقوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» الأحزاب - ٧٢، وقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا» المعارج - ١٩، وقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» إبراهيم - ٣٤، وقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ» العلق - ٧.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و لو كان العدل الاجتماعي مما يقتضيه طباع الإنسان اقتضاء أوليا لكان الغالب على الاجتماعات في شئونها هو العدل، و حسن تشريك المساعي، و مراعاة التساوي، مع أن المشهود دائما خلاف ذلك، و أعمال القدرة و الغلبة و تحميل القوى العزيز مطالبه الضعيف، و استدلال الغالب للمغلوب و استعباده في طريق مقاصده و مطامعه.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

• و من هنا يعلم أن قريحة الاستخدام في الإنسان بانضمامها إلى الاختلاف الضروري بين الأفراد من حيث الخلقة و منطقة الحياة و العادات و الأخلاق المستندة إلى ذلك، و إنتاج ذلك للاختلاف الضروري من حيث القوة و الضعف يؤدي إلى الاختلاف و الانحراف عن ما يقتضيه الاجتماع الصالح من العدل الاجتماعي،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• فيستفيد القوى من الضعيف أكثر مما يفيد، و ينتفع الغالب من المغلوب من غير أن ينفعه و يقابله الضعيف المغلوب ما دام ضعيفا مغلوبا بالحيلة و المكيدة و الخدعة، فإذا قوى و غلب قابل ظالمة بأشد الانتقام، فكان بروز الاختلاف مؤديا إلى الهرج و المرج، و داعيا إلى هلاك الإنسانية، و فناء الفطرة، و بطلان السعادة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و إلى ذلك يشير تعالى بقوله: «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا:» يونس - ١٩، و قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ:» هود - ١١٩، و قوله تعالى في الآية المبحوث عنها: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» الآية.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

و هذا الاختلاف كما عرفت ضرورى الوقوع بين أفراد المجتمعين من الإنسان لاختلاف الخلقة باختلاف المواد، و إن كان الجميع إنسانا بحسب الصورة الإنسانية الواحدة، و الوحدة فى الصورة تقتضى الوحدة من حيث الأفكار و الأفعال بوجه، و اختلاف المواد يؤدى إلى اختلاف الإحساسات و الإدراكات و الأحوال فى عين أنها متحدة بنحو، و اختلافها يؤدى إلى اختلاف الأغراض و المقاصد و الآمال، و اختلافها يؤدى إلى اختلاف الأفعال، و هو المؤدى

إلى اختلال نظام الاجتماع.

الميزان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و ظهور هذا الاختلاف هو الذى استدعى التشريع، و هو جعل قوانين كلية يوجب العمل بها ارتفاع الاختلاف، و نبيل كل ذى حق حقه، و تحميلها الناس.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و الطريق المتخذ اليوم لتحصيل القوانين المصلحة لاجتماع الإنسان أحد طريقين:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- الأول: إلباء الاجتماع على طاعة القوانين الموضوعه لتشريك الناس فى حق الحياه و تسويتهم فى الحقوق، بمعنى أن ينال كل من الأفراد ما يليق به من كمال الحياه، مع إلغاء المعارف الدينيه: من التوحيد و الأخلاق الفاضله، و ذلك بجعل التوحيد ملغى غير منظور إليه و لا مرعى، و جعل الأخلاق تابعه للاجتماع و تحوله، فما وافق حال الاجتماع من الأخلاق فهو الخلق الفاضل،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فيوما العفة، و يوما الخلاعة، و يوما الصدق، و يوما الكذب،
و يوما الأمانة، و يوما الخيانة، و هكذا.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و الثاني: إِبْجاء الاءءءماع على طاعة القوانين بءربفة ما يناسبها من الأءلاق و اءءرامها مع إلباء المعارف الءبنة فى ءربفة الاءءماعفة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و هذان طريقان مسلوكان في رفع الاختلافات الاجتماعية و توحيد الأمة المجتمعة من الإنسان: أحدهما بالقوة المجبرة و القدرة المتسلطة من الإنسان فقط، و ثانيهما بالقوة و التربية الخلقية، لكنهما على ما يتلوها من المفاسد مبنيان على أساس الجهل، فيه بوار هذا النوع و هلاك الحقيقة الإنسانية،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ مَوْجُودٌ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ مُتَعَلِّقٌ بِالْوُجُودِ بِصَانِعِهِ،
 بِدَأْ مِنْ عِنْدِهِ وَ سَيَعُودُ إِلَيْهِ، فَلَهُ حَيَاةٌ بَاقِيَةٌ بَعْدَ الْإِرْتِحَالِ مِنْ
 هَذِهِ النِّشَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ، حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ الذَّيْلُ، غَيْرُ مُنْقَطِعِ الْأَمْدِ، وَ
 هِيَ مَرْتَبَةٌ عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَ كَيْفِيَّةُ سُلُوكِ الْإِنْسَانِ
 فِيهَا، وَ اِكْتِسَابُهُ الْأَحْوَالَ وَ الْمَلَكَاتِ الْمُنَاسِبَةَ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي
 هُوَ كَوْنُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، بِإِدَاءٍ مِنْهُ عَائِدًا إِلَيْهِ، وَ إِذَا بَنَى
 الْإِنْسَانُ حَيَاتَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى نَسْيَانِ تَوْحِيدِهِ، وَ سَتَرَ
 حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فَقَدْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ، وَ أَبَادَ حَقِيقَتَهُ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فمثل الناس في سلوك هذين الطريقين كمثل قافلة أخذت في سلوك الطريق إلى بلد ناء معها ما يكفيها من الزاد و لوازم السير، ثم نزلت في أحد المنازل في أثناء الطريق فلم يلبث هنيئاً حتى أخذت في الاختلاف: من قتل، و ضرب و، هتك عرض، و أخذ مال و غصب مكان و غير ذلك، ثم اجتمعوا يتشاورون بينهم على اتخاذ طريقة يحفظونها لصون أنفسهم و أموالهم.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فقال قائل منهم: عليكم بالاشتراك في الانتفاع من هذه الأعراض و الأمتعة، و التمتع على حسب ما لكل من الوزن الاجتماعي، فليس إلا هذا المنزل و المتخلف عن ذلك يؤخذ بالقوة و السياسة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و قال قائل منهم: ينبغي أن تضعوا القانون المصلح لهذا الاختلاف على أساس الشخصيات الموجودة الذي جئتم بها من بلدكم الذي خرجتم منه، فيتأدب كل بما له من الشخصية الخلقية، و يأخذ بالرحمة لرفقائه، و العطفة و الشهامة و الفضيلة، ثم تشركوا مع ذلك في الانتفاع عن هذه الأمتعة الموجودة، فليست إلا لكم و لمنزلكم هذا.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- وقد أخطأ القائلان جميعاً، و سهيا عن أن القافلة جميعاً على جناح سفر، و من الواجب على المسافر أن يراعى في جميع أحواله حال وطنه و حال غاية سفره التي يريد لها فلو نسي شيئاً من ذلك لم يكن يستقبله إلا الضلال و الغي و الهلاك.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و القائل المصيب بينهم هو من يقول: تمتعوا من هذه الأمتعة على حسب ما يكفيكم لهذه الليلة، و خذوا من ذلك زادا لما هو أمامكم من الطريق، و ما أريد منكم في وطنكم، و ما تريدونه لمقصدكم.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (رفع الاختلاف بالدين)

• و لذلك شرع الله سبحانه ما شرعه من الشرائع و القوانين واضعا ذلك على أساس التوحيد، و الاعتقاد و الأخلاق و الأفعال، و بعبارة أخرى وضع التشريع مبنى على أساس تعليم الناس و تعريفهم ما هو حقيقة أمرهم من مبدئهم إلى معادهم، و أنهم يجب أن يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غد، و يعملوا في العاجل ما يعيشون به في الآجل،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• فالتشريع الديني و التقنين الإلهي هو الذي بنى على العلم فقط دون غيره، قال تعالى: «إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ: يوسف - ٤٠، و قال تعالى في هذه الآية المبحوث عنها: «فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» الآية، فقارن بعثه الأنبياء بالتبشير و الإنذار بإنزال الكتاب المشتمل على

الأحكام و الشرائع الرافعة لاختلافهم

الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و من هذا الباب قوله تعالى: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ:» الجاثية - ٢٤، فإنهم إنما كانوا يصرون على قولهم ذلك، لا لدفع القول بالمعاد فحسب، بل لأن القول بالمعاد و الدعوة إليه كان يستتبع تطبيق الحياة الدنيوية على الحياة بنحو العبودية، و طاعة قوانين دينية مشتملة على مواد و أحكام تشريعية: من العبادات و المعاملات و السياسات.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و بالجمله القول بالمعاد كان يستلزم التدين بالدين، و اتباع أحكامه في الحياة، و مراقبة البعث و المعاد في جميع الأحوال و الأعمال، فردوا ذلك ببناء الحياة الاجتماعية على مجرد الحياة الدنيا من غير نظر إلى ما وراءها.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• وكذا قوله تعالى: «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَنِ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ:» النجم - ٣٠، فبين تعالى أنهم يبنون الحياة على الظن و الجهل، و الله سبحانه يدعو إلى دار السلام، و يبني دينه على الحق و العلم، و الرسول يدعو الناس إلى ما يحييهم، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ:» الأنفال - ٢٤،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• وهذه الحياة هي التي يشير إليها قوله تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا:» الأنعام - ١٢٢، وقال تعالى: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ:»، وقال تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ:» يوسف - ١٠٨، وقال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ:» الزمر - ٩، وقال تعالى: «يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ:» البقرة - ١٢٩، إلى غير

ذلك،

الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- و القرآن مشحون بمدح العلم و الدعوة إليه و الحث به، و ناهيك فيه أنه يسمى العهد السابق على ظهور الإسلام عهد الجاهلية كما قيل.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فما أبعد من الإنصاف قول من يقول: إن الدين مبنى على التقليد و الجهل مضاد للعلم و مباحث له، و هؤلاء القائلون أناس اشتغلوا بالعلوم الطبيعية و الاجتماعية فلم يجدوا فيها ما يثبت شيئاً مما وراء الطبيعة، فظنوا عدم الإثبات إثباتاً للعدم، و قد أخطئوا في ظنهم، و خبطوا في حكمهم،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• ثم نظروا إلى ما فى أيدي أمثالهم من الناس المتهوسين من أمور يسمونه باسم الدين، و لا حقيقة لها غير الشرك، و الله برىء من المشركين و رسوله، ثم نظروا إلى الدعوة الدينية بالتعبد و الطاعة فحسبوها تقليدا و قد أخطئوا فى حسابانهم، و الدين أجل شأننا من أن يدعو إلى الجهل و التقليد، و أمتع جانبنا من أن يهدى إلى عمل لا علم معه، أو يرشد إلى قول بغير هدى و لا كتاب منير، و من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

(بدء تكوين الإنسان)

(تركبه من روح و بدن)

(شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء)

(علومه العملية)

(جريه على استخدام غيره انتفاعا)

(كونه مدنيا بالطبع)

(حدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان)

(رفع الاختلاف بالدين)

(الاختلاف في نفس الدين)

(بيان) فيما
يفيده القرآن
في حقيقة
الإنسان و
تاريخ
نوعه.]

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- (الاختلاف في نفس الدين)
- و بالجملة فهو تعالى يخبرنا أن الاختلاف في المعاش و أمور الحياة إنما رفع أول ما رفع بالدين، فلو كانت هناك قوانين غير دينية فهي مأخوذة بالتقليد من الدين

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• ثم إنه تعالى يخبرنا أن الاختلاف نشأ بين النوع في نفس الدين و إنما أوجده حملة الدين ممن أوتى الكتاب المبين: من العلماء بكتاب الله بغيا بينهم و ظلما و عتوا، قال تعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ

مسمى لقضى بينهم:» الشورى - ١٤، و قال تعالى: «وَمَا

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فالاختلاف في الدين مستند إلى البغي دون الفطرة، فإن الدين فطري و ما كان كذلك لا تضل فيه الخلقة و لا يتبدل فيه حكمها كما قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ» الروم - ٣٠ فهذه جمل ما بنى عليه الكلام في هذه الآية الشريفة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• (الإنسان بعد الدنيا)

• ثم إنه يخبرنا أن الإنسان سيرتحل من الدنيا التي فيه حياته الاجتماعية و ينزل دارا أخرى سماها البرزخ، ثم دارا أخرى سماها الآخرة غير أن حياته بعد هذه الدنيا حياة انفرادية، و معنى كون الحياة انفرادية، أنها لا ترتبط بالاجتماع التعاوني، و التشارك و التناصر، بل السلطنة هناك في جميع أحكام الحياة لوجود نفسه لا يؤثر فيه وجود غيره بالتعاون و

التناصر أصلا،

الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١-١٢٢

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• و لو كان هناك هذا النظام الطبيعي المشهود في المادة لم يكن بد عن حكومة التعاون و التشارك، لكن الإنسان خلفه وراء ظهره، و أقبل إلى ربه، و بطل عنه جميع علومه العملية، فلا يرى لزوم الاستخدام و التصرف و المدنية و الاجتماع التعاوني و لا سائر أحكامه التي يحكم بها في الدنيا، و ليس له إلا صحابة عمله و نتيجة حسناته و سيئاته، و لا يظهر له إلا حقيقة الأمر و يبدو له النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

• قال تعالى: «و نرثه ما يقول و ياتينا فردا:» مريم - ٨٠ و قال تعالى: «و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم و ضل عنكم ما كنتم تزعمون:» الأنعام - ٩٤ و قال تعالى: «هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت و ردوا إلى الله مولاهم الحق و ضل عنهم ما كانوا يفترون:» يونس - ٣٠ و قال تعالى: «ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون:» الصافات - ٢٦ و قال تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض و السماوات و برزوا لله الواحد القهار:» إبراهيم - ٤٨، و قال تعالى: «و ان ليس للإنسان إلا ما سعى و ان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى:» النجم - ٤١ إلى غير ذلك من الآيات،

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

- فهذه الآيات كما ترى تدل على أن الإنسان يبدل بعد الموت نحو حياته فلا يحيا حياة اجتماعية مبنية على التعاون و التناصر، و لا يستعمل ما أبدعه في هذه الحياة من العلوم العملية، و لا يجنى إلا ثمرة عمله و نتيجة سعيه ظهر له ظهورا فيجزى به جزاء.